@ 879 @ براءة نبيه محمد صلى ا عليه وسلم ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون ، فنفى عنه ذلك بنعمة ربه عليه ، وإحسانه ، حيث من عليه بالعقل الكامل ، والرأي الجزل ، والكلام الفصل ، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام ، وسطره الأنام ، وهذا هو السعادة في الدنيا . ثم ذكر سعادته في الآخرة ، فقال : ! 2 2 ! ، أي : لأجرا عظيما ، كما يفيده التنكير ، غير مقطوع ، بل هو دائم مستمر . وذلك لما أسلفه النبي صلى ا عليه وسلم من الأعمال الصالحة ، والأخلاق الكاملة ، والهداية إلى كل خير . ولهذا قال : ! 2 2 ! ، أي : علي به ، مستعل بخلقك الذي من ا عليك به . وحاصل خلقه العظيم ، ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها لمن سألها عنه ، فقالت : (كان خلقه القرآن) ، وذلك نحو قوله تعالى : ! 22 ! ، ! 2 2 ! الآية ، ! 2 2 ! الآية . وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى ا عليه وسلم بمكارم الأخلاق ، والآيات الحاثات على كل خلق جميل ، فكان له منها ، أكملها وأجلها ، وهو في كل خصلة منها ، في الذروة العليا . فكان سهلا لينا ، قريبا من الناس ، مجيبا لدعوة من دعاه ، قاضيا لحاجة من استقضاه ، جابرا لقلب من سأله ، لا يحرمه ، ولا يرده خائبا . وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه ، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور ، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم ، بل يشاورهم ويؤامرهم . وكان يقبل من محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم ، ولم يكن يعاشر جليسا ، إلا أتم عشرة وأحسنها . فكان لا يعبس في وجهه ، ولا يغلظ عليه في مقاله ، ولا يطوي عنه بشره ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه ، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة ، بل يحسن إليه غاية الإحسان ويحتمله غاية الاحتمال . فلما أنزل ا نبيه محمدا صلى ا عليه وسلم في أعلى المنازل ، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون ، قال : ! 2 2 ! ، وقد تبين أنه أهدى الناس ، وأكملهم لنفسه ولغيره . وأن أعداءه أضل الناس ، وشر الناس للناس ، وأنهم الذين فتنوا عباد ا ، وأضلوهم عن سبيله ، وكفى بعلم ا بذلك ، فإنه المحاسب المجازي . ! 2 ، ! 2 وهذا فيه تهديد للضالين ، ووعد للمهتدين ، وبيان لحكمة ا ، حيث كان يهدي من يصلح للهداية دون غيره . ! 2 2 ! يقول ا تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم : ! 2 2 ! الذين كذبوك ، وعاندوا الحق ، فإنهم ليسوا أهلا لأن يطاعوا ، لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهواءهم ، وهم لا يريدون إلا الباطل ، فالمطيع لهم مقدم على ما يضره ، وهذا عام في كل مكذب ، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب ، وإن كان السياق في شيء خاص ، وهو أن المشركين طلبوا من النبي صلى ا عليه وسلم أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم ، ويسكتوا عنه ، ولهذا

قال : ! 2 2 ! ، أي : المشركون ! 2 2 ! ، أي : توافقهم على بعض ما هم عليه ، إما بالقول ، أو الفعل ، أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه . ! 2 2 ! ، ولكن اصدع بأمر ا ، وأظهر دين الإسلام ، فإن تمام إظهاره ، نقض ما يضاده ، وعيب ما يناقضه . ! 2 2 ! ، أي : كثير الحلف ، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب . ولا يكون كذابا ، إلا وهو ! 2 2 ! ، أي : خسيس النفس ، ناقص الحكمة ، ليس له رغبة في الخير ، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة . 2 ! 2 ! أي : كثير العيب للناس والطعن فيهم ، بالغيبة والاستهزاء ، وغير ذلك . ! 2 2 ! ، أي : يمشي بين الناس بالنميمة ، وهو : نقل كلام بعض الناس لبعض ، لقصد الإفساد بينهم ، وإيقاع العداوة والبغضاء . ! 2 2 ! الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك ، ! 2 2 ! على الخلق يظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم 2 ! 2 ! ، أي : كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق ا ! 2 2 ! أي : غليظ شرس الخلق قاس ، غير منقاد ! 2 2 ! أي : دعي ، ليس له أصل ولا مادة